الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ١٣ اغسطس ٢٠٠٢

ماوراء اتفاق ماشاكوس
خطوة نحو المجهول السياسى !

نبيل عبدالفتاح

ما هى الأهداف المضمرة للصفوة السياسية العسكريتارية والدينية الحاكمة فى السودان الشمالى من توقيع اتفاق ماشاكوس مع الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون جارانج

إذا تجاوزنا إرث المناورات والمزايدات السياسية والتلاعب بمشكلة الجنوب فى إطار الصراعات بين الجماعات الحزبية والطائفية والعسكريتارية الشمالية وحاولنا السعى لسبر الخطاب السياسى الخفى الذى يتحرك فيما وراء التصريحات وبلاغة تأكيد الوحدة والمشاركة السياسية والازدواجية فى بنية السلطات المقترحة التى تقود إلى تكريس الانقسام والسلطات الفعلى بين الإقليم الشمالى والجنوبى ما الذى هدف إليه النظام الحاكم من وراء الاتفاق يمكن لنا رصد بعض الدوافع والأهداف فيما يلى:

١ ـ الاستجابة للضغوط الأمريكية ـ والغربية ـ السياسية ولاسيما بعد ١١ سبتمبر٢٠٠١ والرغبة فى الاستفادة من الدعم السياسى الأمريكى ورفع السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب والرغبة فى الحصول على المساعدات الاقتصادية من الدول الغربية وصناديق التمويل الدولية ووعد بعضها كبريطانيا بإسقاط الديون الخارجية مع دعم من النرويج وإيطاليا وكندا وألمانيا لإقالة الاقتصاد من عثراته وارتفاع معدلات التضخم والفقر وتدهور سعر صرف الجنيه السودانى.

٢ ـ إن الاتفاق ـ وظروف توقيعه ودلالات الدور الأمريكى والبريطانى والنرويجى والإيطالى- سيسهم فى توسيع مدى الخلافات الداخلية فى التجمع الوطنى للمعارضة السودانية والأطر الناظمة لها بين حزبى الأمة والاتحادى والجيش الشعبى لتحرير السودان وهو ما ظهر بعد الاتفاق من حيث استبعاده لأطراف المعارضة الشمالية ثم الجنوبية وانحصاره فى طرفيه الحكومة وجون جارانج.

٣ ـ إضعاف الأطراف ذات الثقل الطائفى والتاريخى بين القوى السياسية الشمالية فى توازنات السياسة بين طائفة الأنصار وحزب الأمة فى ظل تعميق الفجوة بين الصادق المهدى وابن عمه الفاضل المهدى الذى سيشارك فى السلطة والانسلاخ من الحزب تحت دعاوى تجديد شباب حزب الأمة وقيادة الطائفة. وتحفيز الاتحاديين على المرونة السياسية تجاه الحكومة لأن ظروف عقد الاتفاق والمفاجأة التى انطوى عليها لأطراف إقليمية عديدة- كمصر وليبيا مثلا!- تحمل رسالة مفادها أن المتغيرات الجديدة ستؤثر على قوة علاقاتهم التاريخية مع مصر والسعودية فى حين أن ليبيا قدراتها على المناورة محدودة فى الإطار الافريقى والدولى لاعتبارات تتعلق بسياسة العقيد القذافى ومواريثها وتقلباتها!

٤ ـ تهميش دور حسن الترابى المعتقل حاليا وذلك عبر تحقيق نجاح ما من الاتفاق ـ يتجاوز ما تم الاتفاق بينه وبين جون جارانج- وحقن الدماء الشمالية فى الحرب الأهلية ومن ثم محاولة بناء شرعية سياسية جديدة للنظام ـ تحالف الإسلام السنى والعسكريتارية ـ يوظف السلام خلال ست سنوات يوطد فيها النظام أركانه وقواعده الأساسية إزاء القوى المعارضة حتى ولو جاء الانفصال مع تقرير المصير فإن شكل قادة المنطقة وتوازناتها ونظمها الحاكمة من المرجح تغيرهم خلال السنوات الست المقبلة! خلال هذه المرحلة يؤسس النظام شرعيته على السلام والتنمية وكسر العزلة الدولية بديلا عن الشرعية الانقلابية المؤسسة على إيديولوجية الإسلام السياسى الوضعية.

٥ ـ تعميق العلاقات السودانية مع دول الجوار الأفريقى- فى إطار منظمة الإيجاد- فى إطار المناورة مع مصر أو دفعها إلى توازن فى علاقاتها مع القوى الشمالية أو التلويح بإمكانية إسهام الحكومة السودانية فى تهميش الدور المصرى فى نظام حوض النيل من خلال توظيف الوضع القلق وغير المستقر فى المنطقة ولاسيما ضربة العراق المتوقعة واحتقان النزاع الفلسطينى- الإسرائيلى مجددا واهتمامات مصر وتركيزها على محاولة منع انفجار الأوضاع بالمنطقة والحفاظ على الحقوق الفلسطينية ومحاولة تطويق النزق السياسى لبعض الأطراف العربية. إن بعضهم ـ داخل الصفوة السودانية الحاكمة- يتصور أن مصر لديها مشكلات عديدة ستحول دون قدرتها على التأثير الحاسم فى مشكلات السودان وحوض النيل مع تغيرات ما بعد ١١ سبتمبر٢٠٠١ ودخول الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج وأطراف أخرى عديدة لحل المشكلة السودانية وأن الأزمة الاقتصادية المصرية والانفجار السودانى وبطء التصرف البيروقراطى لدى بعض الموظفين السياسيين.. الخ كل هذا سيشكل عوائق أمام دور مصرى فعال فى إطار السعى للوصول إلى وحدة لإقليم الدولة السودانية بين جميع القوى السياسية الشمالية والجنوبية لأنها تفتقر إلى أدوات التأثير الاقتصادى.

هذا النمط من التفكير السياسى لدى بعض الأطراف داخل الصفوة الحاكمة ليس جديدا وإنما هو جزء من سياسات توظيف مصر فى الخطابات السياسية التى تنتج دوما للاستهلاك الداخلى لكنها ترمى إلى تحقيق الأهداف التالية:

أ ـ خطابات مناورة فى أوقات الأزمات والاحتقانات الداخلية وترمى لإيجاد "عدو" موهوم تدار حوله

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

سياسات التعبئة السياسية!

ب ـ كسر الاستقطابات الداخلية بين أطراف اللعبة السياسية والحكومة فى كل مرحلة والعسكريتارية بهدف تعبئة الجماهير السودانية ضد مصر فى حين أن الشعب السودانى الشقيق هو الأقرب للشعب المصرى عن الشعوب الأخرى قاطبة حيث يعيش ملايين السودانيين فى مصر كجزء من وطنهم الكبير وادى النيل بشماله وجنوبه مصر وسودانه يتقاسمون معا مر الحياة وحلوها.

ج- توظيف بعض عناصر الصفوة ـ المثقفة ـ وبعضهم من مستويات رفيعة التكوين والمعرفة وهى جماعة لا يعرف عنها بعض موظفى السياسة والثقافة المصرية المحدودين شيئا ـ مرحلة تاريخية سلفت فى تاريخ البلدين للإفساد المنهج للعلاقات بين الشعبين فى إعادة إنتاج المواريث السلبية زمن الحكم المصرى والحكم الثنائى مع بريطانيا ويتناسون عن عمد عمق الروابط الشعبية وتداخل الحركة الوطنية المصرية والسودانية معا إزاء الاستعمار البريطانى سواء فى إطار الوفد والحركتين الديمقراطية للتحرر الوطنى) حدتو(ثم حستو السودانية.. الخ.

د ـ تصوير اهتمام مصر بالسودان متمحورا ومختزلا فى أمن حوض النيل والحصص المائية وهو ما يمثل نزعة تبتسر علاقات عميقة فيها تداخل بشرى وجيوبوليتيكى وسياسى وثقافى ذات فرادة وخصوصية وذلك بقطع النظر عن رعونة وقصر نظر وبيروقراطية عناصر داخل السياسة والإدارة المصرية تتسم بالكسل والمحدودية وبطء الأداء والاستعراضية المسطحة!

إن هذا النمط من التفكير السياسى الكامن وراء الاتفاق الأخير يعكس نمطا مراوغا يعاد إنتاجه وذلك بحجب المعلومات عن الحكومة المصرية.

أما الولايات المتحدة ورئيسها الإمبراطورى الكونى وإدارته فقد مارست ضغوطا عديدة على جون جارانج كى يعد نفسه وجيشه وحلفاءه إلى تأسيس هياكل الدولة الجديدة فى الجنوب ومن ذلك تحويل الجيش الشعبى لتحرير السودان الى حزب سياسى جماهيرى فى جميع انحاء السودان ثم على الحكومة الحالية المتعاونة بالمعلومات عن الإرهاب وذلك لتحقيق عدد من الأهداف تبدو مواتية للمجموعة الحاكمة فى الشمال التى ترمى إلى توظيف الأدوار الأمريكية والبريطانية والنرويجية والإيطالية فى الضغط أو التأثير على أقل تقدير على الدول الإقليمية للقبول بالاتفاق وعلى وجه التحديد مصر ثم السعودية وليبيا. وفى هذا الإطار يستند موقف الحكومة إلى أن لأمريكا مصلحة فى استبعاد مصر ومحاصرتها فى نظام حوض النيل والسودان وإفشال المبادرة المصرية- الليبية لمصلحة مبادرة الإيجاد وأن أهداف ذلك أمريكيا تتمثل فيما يلى:

١ ـ أن تبدى مصر مرونة سياسية وعملية إزاء الضربة القادمة للعراق وتخفيف لهجة الخطابين السياسى والإعلامى الموجه للاستهلاك المحلى الداخلى.

٢ ـ تخفيف حدة الموقف المصرى إزاء السياسية العدوانية الإسرائيلية تجاه السلطة الفلسطينية والموقف من عرفات.

٣ ـ دفع الحكومة المصرية للمشاركة الصريحة فى استراتيجيات الولايات المتحدة الوقائية فى مكافحة الإرهاب ولاسيما فى الشرق الأوسط!.

٤ ـ حصار بقايا الدور الإقليمى المصرى فى المواقع الأكثر تأثيرا على الأمن القومى المصرى المباشرة.

هناك أهداف أمريكية أخرى تتمثل فى استغلال النفط واحتياطاته وحماية السودانيين المسيحيين فى إطار أغلبية تنتمى إلى الأديان الوضعية من كريم المعتقدات. فى إطار الاستجابة لضغوط اليمين المسيحى وتصوراته لحل مشكلة الحرب الأهلية طريقا لإقامة دولة جديدة فى جنوب السودان.

إن مأزق الاتفاق الحالى ومآله إذا أدى إلى إنشاء دولة فى الجنوب يتمثل فى رأينا فيما يلى:

١ ـ أن تكوين دولة فى الجنوب قد يؤدى إلى انفصالات أخرى على أسس عرقية ودينية.

٢ ـ تهميش الدور الأفريقى للسودان وحصره فى إطار دولة سنية متشددة ذات تاريخ سلبى وفاشل فى التكامل الداخلى فضلا عن تجسيم مقولة عن أن الشماليين لهم تاريخ طويل ولايزال فى تجارة الرقيق الأفريقى من الجنوب.

٣ ـ إضعاف وزن السودان العربى ـ الأفريقى جيوبولتيكيا وسيؤدى ذلك إلى إضعاف إمكانات المناورة السودانية وتغدو رهينة دول منابع النيل ثم علاقاتها مع مصر. إن السودان وتركيبته الفريدة ثقافيا وعرقيا ولغويا ودينيا هى مصدر تميز وأهمية ومكانة عربيا وافريقيا أما المناورات والمزايدات هى التى تضع مصير هذا البلد المهم رهينا لمصائر لا تسيطر عليها صفوته الحاكمة والمعارضة معا !

ان الظروف السياسية والاقليمية والدولية تشير الى تغيرات كبرى لايزال بعضهم فى مصر والسودان بعيدا عن إدراكها على الرغم من أنها ستمس شكل المنطقة جيوبولتيكيا ونخبويا وامنيا لكن مناهج التفكير السياسى النخبوى لاتزال ساكنة فى اطار تواريخ سلفت!

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية